تاريخ شعراء العربية

الأبيوردي

العصر العباسي الثاني



إعداد
الدكتور محمد حسني مصطفى

مراجعة
أحمد عبد الله فرهود



منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

عنوان الدار

سورية – حلب – خلف الفندق السياحي

شارع هدى الشعراوي

هاتف : ٢٢١٣١٢٩ ص . ب : / ٧٨ / فاكس : ٢٢١٢٣٦١ ٢١ - ٠٠٩٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الأبيوردي في سطور

هو أبو المظفَّر محمدُ بنُ أبي العباس أحمدَ بنِ محمدّ الأبيوَرْديُّ كان مولدُه في قرية كوفَن[1] ، وهي قرية قرب أبِيورَدْ (أو أبا وَرْد) .

قدم الأبيورديُّ إلى بغداد ، وعلّم أبناء زين المُلْك الأمير بُرْسُق ، نائب السُّلْطان السلجوقي لدى الخليفة في بغداد من سنة ٤٥١ إلى سنة ٤٥٦ هـ ومن المستبعد أن يختار نائب السلطان معلّماً لأولاده دون الخامسةِ والعشرين من العمر ،على الأقلّ ، فتكون ولادة الأبيوردي في الربع الأوّل من القرن الخامس .

وممّن اتّصل بهم الأبيوردي في العقد التاسع من هذا القرن الخامس مؤّيد الدولة عبيد الله بن نظام الملك .

على أنّ أجدى عمل اشتغل فيه هو تولّيه خزانة الكتب في المدرسة النظاميّة ببغداد بعد وفاة خازنها السَّابق يعقوب بن سليمان الأسفراييني .

وتولّى في أواخر آيّامه أشراف مملكة السلطان محمد بن ملكشاه في أصفهان ، ولكنّه سُقِيَ السّمّ فمات سنة ٥٠٧ هـ /١١١٣ م .

معارفه

كان أبو المظفَّر أحد القُرّاء في أبيورد ، وكان ضليعاً في علوم العربية والأنساب، وله شعر متين السَّبْك ، وأسهم في معظم أغراض الأدب .

---

(١) في كتاب الأبيوردي لمملوح حقي (طبع دار اليقظة) ص٧ : الكوفني . نسبة إلى قرية كوفن ، بالفاء الموحَّدة .

كتبه

كتاب تاريخ أبيورد ونَسا . كتاب في الأنساب . كتاب ما اختلف وائتلف من أنساب العرب . قَبْسَةُ العَجْلان في نسب آل أبي سفيان . نُهْزة الحافظ . المجتبى . طبقات العلم في كل فنّ . تعلّة المشتاق إلى ساكني العراق . كتاب كوكب المتأمّل (في وصف الخيل) . كتاب تِعِلّة المقرور (في وصف البرد والنيران وهمذان) . كتاب الدّرة الثمينة . كتاب صهلة القارح ، ردّ فيه على سقط الزَّنْد للمعري .

نسبه

ينحدر الأبيورديُّ من سلالة معاوية بن محمد من ذراريّ أبي سفيان[1] ، ومن هنا يُلَقّبُ أيضاً بالمعاويّ ، ويشير في شعره إلى هذا النَّسَب فيقول :

ونحن معاويّون يرضى بنا الورى ... ملوكاً ، وفينا مِنْ لُوَيٍّ لواؤها

شمائله

كان الأبيورديُّ مؤمناً حسن الاعتقاد ، محبّاً لرسول الله ﷺ راوياً لحديثه ، نقل عنه جماعةٌ من الحُفَّاظ الثّقات ، معظّماً لشعائر الله تعالى ، يكثر من التعبّد والتنفُّلِ والتهجُّد ، ويعتاد المساجد ، يقول :

ولَرُبَّ داجيةٍ كأنَّ سماءها ... بَحْرٌ تلاطَم والنجومُ فواقعُ[2]
مارستُها بتهجُّدي وتجلُّدي ... أنا والدعاءُ وسُبْحتي والجامع
حتى اعتصمتُ بها فأصبحتُ امرأً ... ثَلْجَ الضَّمير ولي فؤادٌ طيِّعُ

---

(١) أبو سفيان : هو صخر بن حرب ، صحابي ، رضي الله عنه .

(٢) داجية : ليلة مظلمة . تلاطم : كثرت أمواجه فتضاربت . فواقع : صفراء ناصعة صافية .

وهو شـاعر متّزن حكيـم ، موقّرٌ لرسـول الله ﷺ ، ولسـائر صحابته رضوان الله عليهم ، لا يفرّق بين أحد منهم :

يا خاتم الرسل إن لم تُخْشَ بادرتي ... على أعاديك غـالتْني إذاً غُـولُ[1]
وكلّ صَحْبكَ أَهْـوَى فـالهدى معَهم ... وغَرْبُ مَنْ أَبْغَضَ الأخيارَ مفلُولُ[2]
وأقتـدي بضجيعَيْـكَ اقتـداء أبـي ... كلاهمـا دمُ مَـنْ عـاداه مَطْلـولُ[3]
ومـنْ كعثمـانَ جُوْداً والسماحُ لـه ... عِبءٌ علـى كـاهل العلياء محمـولُ
وأيـنَ مثـلُ علـيٍّ فـي سـبالتِه ... بمـأزقٍ مِنْ يَـرِدْه فهـو مقتـولُ[4]
فمَـنْ أحبَّهـم نـال النجـاةَ بهـم ... ومَنْ أبى حبَّهم فالسيفُ مَسْلولُ

وما من شكّ في أنّ الأبيات تدلّ على قائل حكيم وعقـل عظيـم ، يحـبّ النبيّ ﷺ وصحابته كلّهم أجمعـين ، وكـان الأبيـوردي دقيقـاً في فَهْمـه ، وكـان ذلك يدفعه أنْ يسكت لـدى الأحـاديث المتشـابهة أو المتعلّقة بالصّفـات ، فهـو يمرُّها كما جاءتْ ويقولُ عبارةً لطيفة " نُقِرُّ ونُمِـرُّ " . وكـان يكثر مـن الصـوم والصَّلاة والتّهجُّد ، ويتحرّى العفّة ، وهو القائل :

ومَنْ عَلِقَ العَفافُ ببُرْدَتَيْهِ ... رأى هِجْرانَ غانيةٍ وِصالا

ومن شِيمه المحمودة أيضاً وفاؤه لأصدقائه ، يقول :

أرعـى ذِمـامَ أخـي إذا واصلتُـه ... وكـذاك أرعـاه علـى الهجْـران
وأفيضُ إحساني عليه فإنْ نـأى ... ضـاعفْتُ إحساناً إلى إحْسَانِ

---

(١) غول : مهلكة . (٢) غَرْب : حدّ . مفلول : متثلّم .

(٣) ضجيعاه : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، لأن قبريهما اللذيـن يضطجعـان فيهمـا قرب قبره ﷺ . مطلول : مهدور .

(٤) سبالته : رجولته . والسَّبَلَةُ اللحية ، وشعر الشارب .

وكان هذا الشّاعر العالم الوقور مترفّعاً أبيّاً ، ينـأى عـن اللهـو والمـزاح . وهو يَرْكَنُ بل يتمسّك بالحلْم تمسُّكاً ، لاييأس لدى العسر ، ولايأشَرُ في اليُسر :

لم يتبسّمْ إذْ أنهَضتْهُ نغمةً أو أجهضتْهُ شِدّةٌ فما بكى[١]

ويرى الأبيورديّ أنّ من الحكمة التجـافي عـن أرض تضيـق السـبل عليـه فيها ، والبكور في الارتحال عنها :

إذا قَصُرَتْ عمّا أحاولُه يدي فـإنّيَ بـأرض لا أُطيل بهـا لبْثـا[٢]
أفارقها والفَجْر في حِجْرِ أُمّـه ولم تلفظ الوكرَ الخُداريّةُ الغَرْثى[٣]

إيثاره الوحدة

لمسَ الأبيوردي في كثير مّمـنْ صـاحبهم مخادعـة ، وقلّـةَ إخـلاص ، فـآثر تركهم على معاشرتهم :

بلَـوْتُ بنـي الدُّنيـا فعُنْـوان ودّهـمْ خداعٌ ، وعُقْباه قلـىً وصـدودُ[٤]
فـلا مُنْعِـمٌ تُثْنـى إليـه أزمّتـي ولا صاحبٌ تُرعى لديه عُهـودُ[٥]
أكـلُّ صديـق فـي المـودّة كـاذبٌ وكـلُّ قريـب فـي الإخـاء بعيـدُ؟
خُلقْـتُ وقـورَ الظّـل لا يسـتفزّني بـروقُ وصـالٍ خَلْفَهـن رعـودُ
أرى البعدَ عن هذا الأنـام فضيلـةً وأَغْبَطُ خَلْقٍ فـي الأنـامِ وحيـدُ

---

(١) أجهضتْهُ : أسقطته . زعزعته .

(٢) اللُّبث : بفتح اللام وضمّها : المُكْث .

(٣)" حجرْ : حضن . الوكر : عشّ الطائر . الخداريّة : الصقور ، الطيور .

(٤) بلوت : اختبرت . عقْبى : عاقبة . قليً : كره وبغض .

(٥) تثنى : تنعطف . أزمّة : جمع زمام ، وهو مِقوَدُ الدَّابة .

صَلَفُه

يفخر الأبيوردي بمَحْتِدِه[1] العريق ، فيطاول به الملوك :

وأقْرَعُ أبوابَ الملوك بوالدٍ　　　حوى بأبي سفيان أشرفَ منتمي

ويرى نفسه فوق الناس :

وإنْ بلغ الرجالُ مداي فيما　　　أحاوله فلستُ من الرِّجالِ

وهو يترفّع أو يتأبّى من أن يتذمّر أو يتشكّى :

وكيفَ يشكو الدهرَ مَنْ شِعْرُهُ　　　على جبين الدَّهْرِ مكتوبُ

ويقول :

تنكَّرَ لي دَهْري ولم يَدْرِ أنَّني　　　أَعِزُّ وأحداثُ الزَّمان تَهُونُ[2]
فباتَ يُريني الخطب كيفَ اعتداؤهُ　　　وبتُّ أُريهِ الصَّبْرَ كيفَ يكونُ؟

وقال في شعره :

كلماتي قلائدُ الأعناقِ　　　سوف تفنى الدُّهور وَهْيَ بَواقِ[3]
فقريضي يراه من ينقد الأشعار - سَهْلَ المرامِ صَعْبَ المراقي[4]
لم يَشِنْهُ المعنى العويصُ ولا لَفْظٌ　　　يكدُّ الأسماعَ ، مُرُّ المذاقِ[5]
وهْوَ في مَنْجَمِ الفصاحةِ مِنْ فَرْعَيْ نِزارٍ مُقابلُ الأعْراقِ[6]
وإليه يصبو الرُّواةُ ، وفيه　　　مع شَكْلِ الحجاز ظَرْفُ العراقِ[7]

---

(١) المَحْتِد : الأصل .　　(٢) تهون : تَذِلُّ .

(٣) قلائد : جمع قلادة ، ما يوضع في العنق .

(٤) قريض : شعر . المرام : المطلب . المراقي : الارتقاء ، البلوغ . يقول : إن شعره من السهل الممتنع .　(٥) شان : عاب . العويص : الغامض المُشكل . كدّ : أتعب .

(٦) منجم : أصل . مقابل : مكافئ . الأعراق : أصول النسب .

(٧) يصبو : يشتاق . ظرف : لباقة .

شيء من التفصيل عن حياته

ولد في كوفن (كوقن) وترعرع في أحضان أبوَينْ ذَوْي نفوذ اجتماعي ومال وافر ، وقد فسَحا أمامه طريق الدَّرْس على أيدي مشايخ قريته ، ثم انتقل إلى أبيورد حاضرة مقاطعته واتّصل بكبار علمائها ، وأخذ عنهم الأدب والتاريخ واللغة ، وتفتق الشعر على لسانه فشدا به .

وكان الأبيورديّ حسن الشَّكل ، طويل القامة ، وسيم الهيئة ، يقول :

فلا غَرْوَ أنْ يستودع المجدُ همَّه ... أغرَّ طويلَ السَّاعدينِ نجيبا[1]

وكان الأبيورديّ متمرساً بلعب السيف وركوب الخيل ، يقول :

وكفّي بهَزّ المشرفيّ لبيقةٌ ... وباعي بتصريف القناة رحيبُ[2]

وعلى شاكلة ما كانت تعتري فريقاً من الشعراء مثل المتنبي والشريف الرضيّ أحلامُ يقظة تطمعهم بالمُلْك ، وتغريهم بالتَّسَلُّط ، نَجد الأبيوردي يلوّح بأهَمّيّة السّلاح في الوصول إلى المجد من أقرب السّبل إنْ أُتيحتْ فُرْصة :

مَنْ رامَ عِزّاً بغير السّيف لم يَنَـمِ ... فاركبْ شَبا الهندوانيّات والأَسَلِ[3]
إنّ العُلا في شفار البيـضِ كامنـةٌ ... أو في الأسنَّة من عَسَّالةٍ ذبُلِ[4]
فَخُضْ غِمارَ الرَّدى تسلمْ وثِبْ عَجلاً ... لفرصةٍ عرضتْ فالحزمُ في العَجلِ

لكنّه لم يوفّق إلى تحقيق ما كان يصبو إليه في بلده ، وكان ينعم بالوفرةِ في عصر أبيه فلمّا توفي أبوه رحل إلى نجد ، واطّلع من كثبٍ على بقايا الفصحى

---

(١) لاغرْو : لا عجب .

(٢) لبيقة : لبِقة ، ماهرة . المشرفيّ : السيف . القناة : الرمح .

(٣) شبا الهندوانيات : حدّ السيوف . الأسل : الرماح .

(٤) شفرة السيف : حدّه . البيض : السيوف . عسالة : ليّنة .

هناك ، واغتبط بهذا الزاد اللغوي ، وإليه يشير في مثل قوله متحدثاً عن شعره :

ودونَك شعراً إنْ فضضتَ ختامَه تضوّعَ رِيحُ الشِّيحِ بين رواتِه[1]

لكنّه عانى في هذه الفترة من العُدْم ، وذلك ضيّق عليه من فرص السَبْق ، بينما أُتيحت لغيره ، ولم ينتفع في عُسْرته بحسبه ، يقول :

ومُتَّشح باللؤم جاذبني العلا فقدّمه يُسْرٌ وأخّرني عُسْرُ[2]
ولو نيلت الأرزاق بالفضل والحجا لما كان يرجو أن يَثُوبَ له وَفْرُ[3]
ولي حسَبٌ يستوعب الأرض ذكْرُهُ على العجم والأحساب يدفنها الفَقْرُ

واشتدّت الأزمة به حتّى غدا نحيلاً شاحباً أغْبرَ من الجوع وكثرة الأسفار . يقول :

وما لهمْ نسَبٌ لكنْ لهم نشبٌ وكل لؤمٍ به في الناس مرفوعُ[4]
وهم شِباعٌ رِواءٌ في الغنى ، ولنا أحسابُ آل أبي سفيان والجوعُ[5]

ثم اتّصل بالعظماء والوزراء والملوك في خراسان وأصفهان وبغداد ، واتّصل بنظام الملك فقرّبه منه ، ومدح الخليفة المقتدي بأمر الله ، ثم الخليفة المستظهر من بعده ، وتسلّم في عصره أمانة مكتبة المدرسة النظامية ، ويتكدّر الجوّ في عينيه ، فيبرحُ بغدادَ إلى أصفهان ، وهناك أدّب أولاد زين المُلْك برسق .

(١) دونك : خذ . تضوّع : فاح . الشيح : نبات برّي مرّ المذاق ، لكنّه يأنس به لحبّه للأماكن التي ينبت فيها .

(٢) متّشح : متصّف ، متلبّس ، والوشاح ما يُتزدان به من الكتف الأيمن إلى الخاصرة اليسرى .

(٣) الحجا : العقل . وفر : ثروة .

(٤) نشب : مال .

(٥) شِباع من الجوع ، رِواء من العطش .

وشعر أنّ الذين كره المُقامَ في بغداد من أجلهم زالوا ، فاعتذر إلى الخليفة المستظهر ، وكتب إليه :

وعلامَ أدّرع الهوانَ وموئلي	**خيرُ الخلائِق أحمدُ المستظهرُ**[1]
أنا غرسُ نعمتِك التي لا تُجتَدَى	**معها السحائب فهي منها أغْزَرُ**[2]
وأن اغتربتُ أو اقتربتُ فإنّني	**لهجٌ بشكر عوارفٍ لا تُكْفَرُ**[3]
بغدادُ أيّتها المطيّ فواصلي	**عنقاً تئنّ له القلاصُ الضُمَّرُ**[4]
فَصدَدْتُ عنها إذ نبا بي معشري	**وبغى عليَّ من الأراذلِ مَعْشَرُ**
وأبادَ بعضَهم المنونُ ، وبعضُهم	**في القِدّ وهو بما جناه أبْصَرُ**[5]
فارفضّ شملُهمُ وكمْ من مَورِدٍ	**للظّالمين وليس عنه مَصْدرُ**[6]

ومنذ هذا الوقت بل منذ اشتغل في مكتبة المستظهر تعدّلت أحواله ، وكانت شهرته قد ذاعتْ ، فكان يمدح المشاهير ، فانصبّتْ عليه الأموال ، وصار له خَدمٌ ومماليك ، وصار يقرّط خيوله بلجُم ذهبية .

---

(١) أدّرع : ألبس . الهوان : الذّلّ . موئلي : ملاذي .

(٢) في البيت مبالغة غير محمودة .

(٣) عوارف : فضل ونعِمْة .

(٤) عنقاً : سيراً سريعاً . القلاص : الركائب . الضُمَّر : النحيفة ، والنحافةُ أعْوَن على السُّرْعة .يدعو نوقه لتواصل تقدُّمها في سرعة تعجزُ عن مباراتها الخيول الضامرة .

(٥) تشتّت شمل أعاديه ، فصاروا ما بين ميّت أو سجين . والقِدّ : سَيْرٌ من الجِلْد يقيّد به المعتقل ، والقِدّ أيضاً السّوط .

(٦) ارفضّ : تمزّق وتحطّم ، وتفرّق .

مـــوتــــه

من الملوك الذين اتّصل بهم الشاعر السلطان محمد بن ملكشاه في أصفهان ، وقد جعله على إشراف المملكة ، وهو منصب يضاهي إدارة مكتب الرئيس ، أو وزير دولة اليوم ، ولكنّه لم يتمتّع به طويلاً ، إذْ دُسّ له السّمّ في شراب قُدّم له وهو بجوار الملك ،فهبط إلى الأرض ،وأحسّ بدنوّ أجله ، فقال :

وقفْنا بحيث العَدلُ مَدَّ رُواقَه وخيم في أرجائه الجود والبَاسْ[١]

ففَوْقَ السَّرير ابنُ الملوك محمّدٌ تخرُّ له مِنْ فَرْط هيبته النّاسُ

فخامرني ما خانني قدمي له وإنْ ردّ عنّي نُفْرةَ الجأشِ إيناسُ[٢]

وكان مصرعه يوم الخميس في العشرين من شهر ربيع الأول عام ٥٠٧ هـ .

دعوته إلى السِّياسة العباسيّة

كانت الدولة الإسلامية في عصر الأبيوردي متفتّتة ، فهناك خلافة عباسية في بغداد تتبعها أقطار اتّباعاً تامّاً ، وأقطار أخرى تتبعها بما يُشْبه الحكم غير المركزي ، كدولة الحمدانيّين ، وكانت دول أخرى منسلخة عنها كالدولة الأموية في الأندلس ، والعبيدية والفاطمية في مصر . فدعا الشاعر إلى طاعة الدولة العباسية ، والانطواء تحت رايتها ، وترك الانقسامات والاختلافات :

(١) كناية عن عدل محمد بن ملكشاه وجوده وقوّته .

(٢) خامره : خالطه . الجأش : القلْب .

والشعبُ إن دبَ في تفريقهِ إحَنٌ — **فلن يعود طَوال الدهر ملتئما [١]**

***

لكم يا بني العباس في المجد سَوْرةٌ — **تبجَّحُ في حيَّيْ نزار بناتها [٢]**
وتختال فيكم عزمةٌ "نبويّةٌ" — **إذا الحربُ طاشتْ وقَّرتْها أناتُها[٣]**
ولم تشرق الأيام إلاّ بَعدْلكمْ — **فما أحسنَ الدُّنيا وأنتم حماتُها**
إليكم رسولُ اللهِ أوصى بأمَّةٍ — **أقامتْ بمستَنِّ الرشادِ غواتُها [٤]**

ويمدح الخليفة المستظهر :

ماذا يقول لكَ المُثْني وقد نزلتْ — **على ابن عمك في تقريظك السُّوَرُ [٥]**
واللهُ يحرُس بابن عمَ رسولهِ — **دينَ الهدى وبه يُعان ويُنْصَرُ**

ويستوصي ببني أميّة خيراً لعلّ العباسيين يعوّضونهم شيئاً ممّا ساموهم به من قبل من سوء المعاملة والإيذاء والقتل ، فيفسحوا لهم من الأعمال الحكومية والمناصب الإدارية :

ونحن معاويّون يرضى بنا الورى — **ملوكاً وفينا من لَؤيٍّ لواؤها [٦]**
وما بلغتْ إلا بنا العَرَبُ العُلاَ — **وقد كان منّا عزُّها وثراؤها**

* * *

ومن نُرجِّيه للدُّنيا ونَمْدُحُهُ — **فأنت تُمْدَحْ للدُّنْيا وللدِّيْن**

---

(١) إحن : جمع إحْنة : وهي الحقد .
(٢) سورة : ثورة . تبجَحُ : تتبجّحُ .
(٣) يشير إلى سلالتهم المتّصلة بالرسول فإذا ما اشتعلت نيران الحروب عرفوا كيف يديرونها حتى تنخمد نيرانها لمصلحتهم .
(٤) جملة أقامتْ غواتها صفة لأمّة . يصف الأمَّة بالاهتداء ، وحتى إن الضّالين قد ثابوا فيها إلى طريق الرَّشاد .
(٥) المثني : المادح .
(٦) لؤي : قبيلة (من أجداد قريش) . لواء : علم . وبين لؤي ولواء : جناس .

طموحه وغروره

قالتْ لصحبيَ سِرًّا إذْ رأتْ فرسي — من ذا الذّي يتعدّى مهرُه خببا[1]
فقـال أعلمُهـم بـي : إنَّ والـدَه — مَنْ كان يُجْهِدُ أخلاف العلا حلَبا[2]
ما ماتَ حتّى أقرَّ النـاسُ قاطبةً — بعزّه وهو أعلى خِنْدِفٍ نسَبا[3]
وذا غـلام بعيدٌ صيتُـه ، ولـه — فصاحـةٌ وفَعـالٌ زيَّـنَ الحسَـبا[4]
وظَلَّ يُنْشِدُها شعري ويُطْرِبُها — حتـى رأتْـه بذَيْلِ اللّيـل منتقبا
فودَّعتْه وقـالتْ يـا أخـا مُضَرٍ — هذا لعمري غـلامٌ يُعْجِب العرَبا

***

سيسمو بي المجـدُ حتّـى تنـالَ — يميني السُّـهَا والثُّرَيّـا شمالي[5]
بحيث تنـــاجي جِباهُ الـوَرَى — من الأرض ما صافحتْه نِعالـي[6]

شـعـره

يزعم الأبيوردي أن شعره كالماء السَّلْسَال ، أو زَهْر الرّياض ،أو اللؤلؤ ، أو الخمر ، وليس من التقوى تجميل الخمر وتزيين أوصافها ، وكثيراً ما افتخر بذيوع اسمه ، وشهرة أشعاره ، وأن الشعراء كبَوْا دون قوافيه حتى أصبحتْ تلك القوافي زادَ المسافر ، وغزلَ العاشق ، وشكوى البائس ، وسلوى المحزون ، وطارت شواردُ شعره في الخافقَينْ :

---

(١) يتعدّى : يجري . خبب : ضَرْب من السير السَّريع .

(٢) خلف الناقة : ضَرْعها . كان والده يحلب المجد حلباً يرهقه .

(٣) قاطبة : جميعاً . خندف : من جلود قريش .

(٤) يفخر بنفسه ، بطريقة غير مباشرة ، وبذيوع شهرته ، وبفصاحته وكريم أعماله .

(٥) السُّها : نجم . والثريا : مجموعة من النجوم .

(٦) هذا كلام لا يليق . اللهمّ اغفرْ لقائله .

تغنّى به سفْرٌ وتُطْرِي كواعِبٌ — وتبكي رسومٌ رثّةٌ وطلولُ[1]

وقال أيضاً في شعره :

وقَواف مُلْس المتون شداد الأَسْر — غُـرٌ مصقولـةِ الأَطْـرافِ[2]

لـم يَشِنْها إجـازةٌ وسِـنادٌ — وحلَتْ إذ خلتْ من الإصراف[3]

وإذا مـا رواتُهـا انتقدوهـا — حسـبوها لآلـئَ الأصـداف

صغْتُها في النَّسيب والفخر حتى — عُـدَّ فيهـا الإعجـازُ من أوصـافي

تفاوت مستواه الشعري

مَنْ يطّلع على شعر الأبيوردي لا يراه مُنْسجماً ذا مستوى واحد ، ويبدو أنّ هذه الظّاهرة كانت انعكاساً لناحية الشّاعر النفسيّة ، فلم تكن مستقرّة على طريق لا حب ، فهو مرّة يجعل الشعر زينة يعتزّ بها ، فيقول :

ولـم أنظـم الشـعرَ عجبـاً بـهِ — ولـم أمتـدحْ أحـداً مـن أربْ[4]

ولا هزّنـي طمـعٌ للقريـضِ — ولكنّـه ترجمـانُ الأدبْ

وللفخـر أعنـى بـه لا الغنـى — فمنْ كِسْر بيتي جَيْبُ العَرَبْ[5]

ومرّة يجعله بضاعة كاسدة :

خليليّ مالي غيرَ شعري بضاعةٌ — ولكنّها لا تُشترى بالدَّراهمِ

---

(١) السَّفر : المسافرون . تُطْري : تثني .

(٢) الأسْر : التركيب . غرّ : مشرقة .

(٣) الإجازة والسناد والإصراف : من عيوب الشعر .

(٤) مِنْ : حرف جرّ يفيد هنا معنى السببيّة . أرب : غاية ، حاجة .

(٥) الكِسْر : جانب البيتِ ، ناحيته .

أو أداة للدعاية السياسية لدى الملوك :

فـدونـــكَ ممّا ينظم الفكـــر شُــرَّداً　　سلبْنَ حصى المَرجانِ كلَّ نظام [١]

ويَهْوى ملوكُ الأرض أن يُمْدحوا بها　　ومــا كلّ سمع يرتضيه كلامي

وأجودُ أو قل من أجود شعره ما كان في الفخر والغزل ، أمـا الهجـاء أو المدح ، فلم يكن يميل إليهما :

فشعْرُ مثليْ وخيرُ القولِ أصدقُه　　ما كان يفترُّ عن فخرٍ وعن غزلِ [٢]

أمّـــا الهجاءُ فلا أرضَى به خلُقاً　　والمدحُ إن قلتُه فالمجْدُ يغضبُ لي

وشعره ينثال عليه في يسر ، فيتدفّق به لسانه في الوقـت الـذي يستعصي على غيره من الشعراء :

والشّعْرُ راضَ أبيّهُ لي مِقْولٌ　　ذَربُ الشّفَا وفصاحةٌ وبيـــانُ [٣]

تُلْقـــي إليَّ عِنانَها مِنْ طاعةٍ　　ولها على المُتَشاعرينَ حِرانُ [٤]

لكنّه أحياناً يتأبى عليه جيّده فيعلّل نفسه بالكتابة :

إنْ عِيب شعري قلت إني كاتبٌ　　أو عيب خطّي قيل إنّي شاعرُ

وهو يرى أنّ شعره منْجمٌ خصْبٌ فيه جزالة البادية ورقّة الحاضرة :

وجزالةُ البدويّ في أثنائها　　مفترّةٌ عن رقّةِ المُتحضّرِ

---

(١) يشبهّ أشعاره بالمرجان النفيس .

(٢) يفترّ : يبتسم : يبتسم ، يفتح فاه .

(٣) ذرب الشّفا : سيّال الطّرف .

(٤) عنان : مقْود . حرن : معاندة وتأبٍّ .

خـــاتـمــة

رأينا الشاعر يذمّ موضوعيْ الهجاء والمدح ، لكنّ الناظر إلى ديوانه يجده قد طرقهما ، وطرق أيضاً أغراض الفخر والرثاء والغزل والوصف والحكمة ، وتفاوت شعرُه بين الرقّة والجزالة ، والقوّة والضعف ، لكنّ ثقافته اللغوية كانت واسعة ، وقد وفّق أحياناً في إيراد مجازات حسنة ، تعتمد بخاصّة على التّشبيه أو الاستعارة ، وعلى شاكلة عَلَق عصره بألوان المجاز والبديع ، والإكثار منها ، أكثر الأبيوردي أيضاً منها وغالباً ما يتكّئ على المقدّمة الغزلية أو الطّللية قبل أن يطرق غرضه ، وهو يُحْسن الانتقال من موضوع إلى موضوع ، ولكنّ شعره لا يخلو من مبالغات ممقوتة ، وادّعاء لشعره بصفاتٍ هي أعلى منه ، ولا سيّما حين يتنبّأ بأنّ المستقبل لن يلد أمثال قصائده :

لحقْتُ بها شأْوَ المُجيدين قبلَها　　　وهيهاتَ أن يُؤتى بأمثالها بعدي

ولا بأسَ أن أختم البحث بقوله ، وهو من جيّده :

أَمِنْتُ حوادثَ الأيّام لمّا　　　غَسلْتُ يديَّ مِنْ جاهٍ ومالِ
مللْتُ العيشَ حتى كدْتُ أشكو　　　جناياتِ المَلالِ إلى المَلالِ[١]
وما اعتاص المَرامُ عليَّ حتّى　　　وجدتُ التَّرك يُرْخِصُ كلَّ غالِ[٢]

وبهذه الأبيات من ميميّته ، التي تعدّ أيضاً من أفضل شعره وفيها يستثير الهمم لمقاومة الصليبيّين لما احتلّوا سواحل الشام والقدس :

مزجْنا دماءً بالدموع السَّواجمِ　　　فلم يبقَ منّا عُرْضةٌ للمراحمِ[٣]
وشَرُّ سلاح المرء دمعٌ يُفيضُه　　　إذا الحَرْبُ شُبَّتْ نارها بالصَّوارمِ[٤]
فإيهاً بني الإسلام إنّ وراءكم　　　وقائع يُلْحِقْنَ الذُّرا بالمناسمِ[٥]

وهي قصيدةٌ تفيض حميّة إسلامية ، وغيرة دينيّة ، وتدلّ على إباء الأبيورديّ ، وإخلاصه .

---

(١) الملال : الملل .　　(٢) اعتاص : تشابك وتعقّد وتعرقل . المرام : المطلب .
(٣) السَّواجم : المنسكبة . المراحم : الرحمة .
(٤) الصوارم : السيوف .　　(٥) المناسم :جمع منسم ، وهو خفّ البعير .